

أحاديث رمضان ١٤٣٦ – درر – الحلقة الحادي عشر : الحياء .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٦-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي للحاء

((... وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

((الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر))

[الحاكم عن عبد الله بن عمر]

وقد كان حبيبنا المصطفى صلى الله
عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في
خدرها ، فهلّموا بنا نتعلم بصحبتكم
كيف نستحي من الله حق الحياء لتكون
عند وصية حبيبنا المصطفى صلى الله
عليه وسلم ؟

بسم الله ، الرحمن علم القرآن ، خلق
الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام
على النبي العدنان ، وعلى آله

وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ، أخوتي المشاهدين أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بالخير واليمن
والبركات والطاعات ، وإلى درة جديدة من درر الإسلام نبحر معاً في بحر الشريعة الزاخر ،
نستشف معاني هذه الدرة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من فم أستاذنا
الفاضل أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله أستاذ .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

الأستاذ بلال :



أستاذنا الكريم درة اليوم هي الحياء ، والحياء من الأخلاق الإسلامية الفاضلة وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وسلم :

((اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ))

[أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن مسعود]

كيف نفهم الحياء في ضوء هذا الحديث ؟

الفرق بين الخجل و الحياء :

الدكتور راتب :

لكن لا بد من التفريق بين مرض نفسي هو الخجل وبين فضيلة أخلاقية هي الحياء



الخجل مرض نفسي والحياء فضيلة أخلاقية

هناك من يختلط عنده الخجل بالحياء ، والحياء بالخجل ، أنا حينما أخجل أن أطالب بحقي ، وأخجل ان أفء الموقف المشرف ، وأخجل ان أكون مع الحق لا مع الباطل ، هذه كلها أمراض نفسية ، أما حينما أستحي من الله حق الحياء أن أفعل شيئاً لا يرضي الله ، أن أفعل شيئاً يخدش مروعتي ، أن أفعل شيئاً ينتقص من مروعتي ، أن أفعل شيئاً

ينتقص من كرامتي ، أن أفعل عملاً لا يليق بمؤمن ، هذا هو الحياء ، والحياء من الإيمان ، أحد مفرزات الإيمان الحياء ، دعه فإنه لا يستحي من الله ، هو لما نفى عنه الحياء نفى عنه الإيمان ، والحياء من الإيمان ، بل أحد مفرزات الإيمان الكبرى الحياء .

الأستاذ بلال :

لو خضنا في الحديث قليلاً :

((.... أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ...))

كيف يحفظ الإنسان رأسه ؟

الدكتور راتب :

مثلاً للتقريب قد تأتيه خواطر لا ترضي الله ، كأنه يعصي الله بالتصور فقط أقول : هذه الخواطر مبدئياً لا تحاسب عليها ، لكن لو تابعتها في الأعم الأغلب تنقلب إلى فعل، فحينما أترد من نفسي كل خاطر لا يرضي الله هذا نوع من الحياء من الله ، لأن الله يعلم السر وأخفى ، يعلم الذي تتكلم به ، يعلم ما أعلنته ويعلم ما أخفيت ، ويعلم



ما أنت لا تعرفه ، يعلم ما كان ، ويعلم ما سيكون ، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، لمجرد أن توقع أن الله يعلم ، الإنسان إذا علم أن الله يعلم آمن واستقام ، أنا أقول دائماً : ما الذي يدفع الناس إلى طاعة القوانين؟



لأن واضع القانون علمه يطولك ، شرطي واقف والإشارة حمراء ، فعلمه يطولك وقدرته تطولك، فإذا أيقنت أن الله سبحانه وتعالى ملك الملوك خالق السموات والأرض علمه يطولك وقدرته تطولك والدليل :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق: ١٢]

وكأنه اختار من أسمائه العلم والقدرة ، أي علمه يطولك وقدرته تطولك ، فأنت مع إنسان أقوى منك ، إن خالفت السير علمه يطولك من خلال هذا الشرطي ، وقدرته تطولك بغرامة كبيرة جداً ، فأنت مع إنسان لأنك موقن أن علمه يطولك وقدرته تطولك فلا يمكن أن تعصيه ، فكيف بالواحد

الديان ؟ فالإنسان حينما يؤمن أن الله معه ويعلم ما يفعل وما يفكر ، يستحي من الله حق الحياء .
الأستاذ بلال :

((... أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى...))

على الإنسان أن يتحرى المال الحلال :

الدكتور راتب :

المال الحرام ، إذا اشترى بالمال الحرام طعاماً فهذا الطعام حرام ، دفع ثمنه من مال حرام ،
فحينما يملأ بطنه بالمال الحلال أو بطعام اشترى بمال حلال ، شيء ليس سهلاً لذلك :

((يا سعد أطب مطعمك))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

يا ترى أطب مطعمك أن يأكل أكلاً
تفيساً ؟ لا ، أن يأكل طعاماً اشترى
بمال حلال :

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب

الدعوة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

الأستاذ بلال :

((... وَتَتَذَكَّرُ الْمَوْتَ وَالْبَلَى ...))

ما علاقة ذكر الموت بالحياء ؟

علاقة ذكر الموت بالحياء :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن الإنسان يعيش بعمر محدود، فحينما يموت
الموت ينهي كل شيء، ينهي علمه ،
مرتبه العلمية بالمجتمع ، ينهي ماله ،
ينهي استمتاعه بالحياة ، الموت ينهي
كل شيء تقريباً ، المؤمن خطه البياني
صاعد ، أما أي إنسان خطه صاعد
أيضاً نما ثروته ، غير بيته ، وسع
صلاحياته ، غير أثاث بيته ، ينمو



الحياء

فبإتي الموت ينهي كل هذا التوسع ، سقوط ، إلا أن المؤمن وهذا ما أخطر مما عند المؤمن من إيجابيات أن خطه البياني صاعد صعوداً مستمراً بعد الموت ، فحياة المؤمن خير ، ومماته خير ، الخط البياني الصاعد ، الموت نقطة على هذا الخط ، المؤمن لو أن المنية جاءت الله تعالى قال ما قال كل نفس تموت قال :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾

[سورة الأنبياء : ٣٥]

والموت بالحقيقة انفصال الجسد عن النفس وانقطاع الروح أي الإمداد ، هذا الموت في ذات للإنسان ، هذه الذات ترتدي ثياباً هي الجسد ، وهناك قوة محرّكة هي الروح ، فعندما ينقطع الإمداد الإلهي يموت الإنسان وتنفصل نفسه عن جسده ، فالبطولة أن نصل إلى هذا المستوى ونحن على طاعة الله ، قال تعالى :



القلب السليم لا يشتهي شهوة لا ترضي الله

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]

القلب السليم ، القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد غير الله . الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم بارك الله بكم ، أنتقل إلى المحور الثاني لهذا اللقاء الطيب وأخصه لحديث شريف رواه أبو مسعود البديري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت))

[البخاري عن ابن مسعود]

كيف نفهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت ؟

الحياء أحد أكبر الضوابط في حياة الإنسان :

الدكتور راتب :

الإنسان أحد أكبر الضوابط حياؤه من الله ، وقد يكون حياؤه من الناس أيضاً ، من الله أصل ، ومن الناس فرع ، فإذا كان يستحي معنى هذا ضبط نفسه ، لم يرتكب الكبائر ، لم يتكلم بألفاظ بذيئة ، لم يتصرف تصرفاً فاحشاً شائناً ، فهذه كلها ترد بالحياء ، تنضبط بالحياء



الذي يستحي من الله يضبط نفسه ويمنعها عن المعاصي

لكن كما نقول دائماً بأول الإيمان يكون مستوى الإنسان أقل من مستوى الشرع لكن يطبق الشرع بإرادة قوية ، بعد أن يذوق طعم القرب من الله ، وطعم الإيمان ، ترقى نفسه إلى مستوى الشرع ، انتهت مرحلة الجهاد ، طبعه لا يسمح له أن يكذب ، طبعه لا يسمح له بطرفة فاحشة ، لا يسمح له بموقف لا يليق بالمؤمن هذا الرقي النفسي :

((نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه))

[كنز العمال عن عمر]

ارتقت نفسه .

الأستاذ بلال :

وهل نفهم من الحديث :

((... إذا لم تستح فاصنع ما شئت))

[البخاري عن ابن مسعود]

أنه لو أن إنساناً لم يستح من فعل لا يستحي منه فليفعله ؟

من لم يستح من فعل لا يستحي منه فليفعله :

الدكتور راتب :

مثلاً لو أن الشرع سمح لك بشيء ، أنت في بلد أو في مجتمع ، هذا الشيء غير مقبول ، مثلاً إنسان عنده زوجة حريص عليها حرصاً بالغاً ، لكن أحياناً هناك مشكلة لا تحل إلا بزوجة ثانية ، وهناك بلاد مرفوض أن تتزوج امرأة ثانية ، لكن هو حينما يحقق مصلحته في الدنيا ويطهر نفسه من أي زلل بزوجة ثانية هذا عمل طيب ، لا يوجد مانع ، طبعاً يرضي أو لا يرضي بحث آخر ، لا بد من أن تبقى مستقيماً على أمر الله ، لا بد من أن تكون طائعاً لله ، فإذا كان هناك ظرف صعب جداً قد يضعف ضبطك لنفسك ويحل بشيء غير مقبول اجتماعياً عند الناس ، إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، هذا المعنى .

الأستاذ بلال :

إذا يحمل على معنيين إذا لم تستح من
الله سوف تفعل أي شيء دون رادع .
الدكتور راتب :

المعنى الثاني إن كان يرضي الله وقد
يكون غير مقبول عند الناس .
الأستاذ بلال :

كالحجاب في بلاد الغرب .
الدكتور راتب :



بننت نشأت في أسرة ما فيها حجاب ،

فالحجاب يجعلها منبوذة عند أهلها ، هذا شيء في طاعة الله :

((... إذا لم تستح فاصنع ما شئت))

[البخاري عن ابن مسعود]

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم بارك الله بكم الآن أريد أن أنتقل إلى المحور الأخير في هذا اللقاء الطيب ، وأنا
قرأت وسمعت لابن القيم عبارة أريد أن أنقلها لكم يقول : " الحياء حالة حاصلة من امتزاج تعظيم
الله مع مودته ومحبته ، فإذا اقترنا تولد بينهما الحياء " أي التعظيم لله مع المودة يولد الحياء ،
كيف ؟

التعظيم لله مع المودة يولد الحياء :

الدكتور راتب :

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

[سورة الرحمن : ٧٨]



الحقيقة صفتان دقيقتان جداً ؛ معنى
الجلال أنت تعظمه تعظمه تعظمه ،
والإكرام تحبه ، فالبطولة لا أن تكتفي
بالتعظيم ولا أن تكتفي بالحب ، أن
تجمع بين الحب والتعظيم ، هذا
الإنسان تحبه بقدر ما تخافه ، أو تخافه
بقدر ما تحبه ، هذه الصفة بالله عز
وجل جلال وإكرام ، هناك من تجاوز

هذا المعنى أن بمكة يوجد جلال وبالمدينة يوجد جمال ، أنت تريد الجانب الجلاي في الدين والجانب الجمالي ، الجمال باعث والجلال باعث ، فإذا اجتمع الباعثان معاً صار هناك توازن ، أما خوف خوف مطلق ، والدعاة أحياناً يقعون في منزلق خطير ، يكثر من آيات التهديد والوعيد ، يحطم الناس الذين حوله ، وإنسان يعطي أملاً من دون استقامة ، لا يتشدد إطلاقاً بالاستقامة ، يعطي فتاوى ، يتساهل بكل شيء ، يطالب أخوانه أن يكونوا مع الله ، لما عصوا الله عز وجل ابتعدوا ، الحقيقة لا بد من وصية متوازنة ، أما دائماً فالتطرف له آثار سلبية .
الأستاذ بلال :

في الحياء نجمع بين تعظيم الله ومودته فيكونا معاً .
الدكتور راتب :

أي تخافه بقدر ما تحبه ، أو تحبه بقدر ما تخافه ، أي جمعت بين التعظيم والإجلال وبين المحبة .
الأستاذ بلال :

أما في حياة الناس فغالباً قد تحب إنساناً ولا تعظمه ، وقد تعظم إنساناً ولا تحبه .

البطولة أن يكون التعظيم بقدر الحب :

الدكتور راتب :

عفواً أحياناً يكون الإنسان معه دكتوراه باختصاص نادر جداً ، وله أم يحبها محبة تفوق حدّ الخيال لكنها أمية ، هو لا شك أنه يحبها حباً حقيقياً لكن لا يعظمها فيما بينه وبين نفسه غير متعلمة ، وبالعكس أستاذ أحياناً يكون متعمقاً تعمقاً مذهلاً ومع الطلاب يكون لئيماً جداً ، فأنت تعظمه ولا تحبه

قد تجد إنساناً تعظمه ولا تحبه ، وإنساناً تحبه ولا تعظمه ، البطولة أن يكون التعظيم بقدر الحب ، وهذا المؤمن ، المؤمن ليس ساذجاً ، سيدنا عمر قال : " لست بالخبّ و لا الخبُّ يخدعني " أي لست من الخبث بأن أُخدع ، ولا من السذاجة بأن أُخدع ، لا أُخدع ، ولا أُخدع ، وهذا موقف دقيق جداً ، والإنسان لا يحترم إنساناً ساذجاً ،



المؤمن قوي ، منضبط ، عنده توازن بين الصفات الإيجابية والسلبية .
الأستاذ بلال :

وفي الحديث الشريف :

((الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر))

[الحاكم عن عبد الله بن عمر]

وكان الحياء

اقتران الحياء بالإيمان :

الدكتور راتب :

الترايط الوجودي أرقى نوع ، عندنا ترايط وجودي بين الصفة والموصوف كأن تقول : الطائفة تطير ، فإذا ألغى الطيران ألغيت الطائفة ، حقيقة جداً ، قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٩]

لو أن الذي يبلغ الرسالة لا يخشى الله ، تكلم بالباطل إرضاءً للأقوياء ، وسكت عن الحق خوفاً منهم ، انتهت دعوته ، فإله ذكر صفة واحدة ، صفة مترابطة مع الموصوف ترايطاً وجودياً فاكتفى بواحدة ، الداعية له ألف صفة ، صفة واحدة لو ألغيت دعوته كلها:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٩]

هذه الصفة الجامعة المانعة .

الأستاذ بلال :

المؤمن حي ليس هناك مؤمن لا يستحي من الله .

الحكمة تأتي من الله و المؤمن لا يتكلم كلاماً يلغي قيم الدين كله :

الدكتور راتب :

ومن الناس هناك شخص عنده وقاحة غير معقولة ، عنده بذاءة باللسان غير معقولة ، المؤمن الضوابط عنده ذاتية ، لا يوجد عنده إمكان أن يتكلم كلمة فاحشة إطلاقاً ، تجلس معه ثلاثين سنة لا تسمع غلطاً بكلامه هذا المؤمن ، عنده ضبط للسان ، ومن اعتقد أن كلامه من عمله فقد نجا ، كلامك عمل :

((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً ، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]



مرة قال لي طالب : أرى عبارة أنت أخلاقي لأنك ضعيف ، وأنت ضعيف لأنك أخلاقي ، السم في الدسم ، هناك كلمات خطيرة جداً فالإنسان عندما يكون عنده نور من الله وعنده حكمة ، الحكمة تأتي من الله عز وجل ، لا يتكلم كلاماً يلغي قيم الدين كله .
الأستاذ بلال :

بارك الله بكم واسمحو لي ان أختتم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم :

((إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي ...))

[الترمذي عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ]

فإذا كان الله حياً فما أحرانا أن نتخلق بخلق الحياء .
الدكتور راتب :
نتخلق بأخلاق الله .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :
وأنتم أخوتي المشاهدين لم يبق لي إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، راجياً الله أن نلتقيكم في لقاء آخر أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم أعمالكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين